

أبو عبدو البغل

عبد العزيز هلال

القطار

عبد العزيز هلال



مسرحية

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق ١٩٧٦

تصميم الغلاف : نعيم اسماعيل

شخصيات المسرحية

١ ـ الفتـــاة : نحيفة وشاحبة ، ذات بشرة بيضاء وشعر أسود ، مسلوبة الارادة والوعي ٠

٢ ـ الطريـد : رجل مثقف وعقائدي ، ذو طموح لكنه ضعيف الثقة بنفسه ، من البورجوازية الصغيرة ٠

٣ ـ الوجيـه : رجل أنيق أناقة كلاسيكية ، يمكن أن يمثل اية فئة أو طبقة متسلطة ومستغلة في أي مجتمع ٠

٤ ـ الشيـخ : رجل يتمتع بكامل العافية ، يحب النوم والطعام ٠

٥ ـ السيدةالعجوز : أية سيدة عجوز من الطبقة الارستقراطية ٠

٦ ـ السيـدة : أية سيدة كهلة أو في نهاية الشباب ، تمثل الطبقة البورجوازية الكبيرة ٠

٧ ـ السيد : وهو أيضا من البورجوازية الكبيرة فيما يبدو ٠

٨ ـ الفنـان : فتى رقيق وفي مقتبل العمر دون سن الرشد أو في بدايته ، فقير الحال ٠

١٣ـ خمسة من العمال ، مختلفي المهن ٠

٢٣ـ عشرة من الفلاحين بينهم فلاحات ، ألبستهم متباينة بحسب المناطق التي ينتمون اليها ٠

٢٤ـ الشرطي الأول ٠

٢٥ـ الشرطي الثاني ٠

الديكور والاكسسوار

يُهيأ المسرح بصورة توحي بعربة قطار ذات درجتين (أولى وثانية) ٠ ورغم أن العربة واحدة ، فان أرضية وجدران كل درجة متباينة بصورة واضحة ، ويجب أن يكون الاكسسوار في الدرجة الأولى فخما وأنيقا ومريحا بعكس اكسسوار الدرجة الثانية ٠

كذلك يراعى في المساحة أن تكون واسعة في الدرجة الاولى وضيقة في الثانية ٠

ولابد من احاطة ذلك كله بما يدل على أن القطار يجري فوق سهب مغطى بالثلج ، الذي نشاهد آثاره على حواف النوافذ،والحافة الأمامية لخشبة المسرح ٠

المشهد الأول

(قبل رفع الستارة •• وبعد تعتيم الصالة ، تسمع مؤثرات قطار يجري بسرعة) ••

(ترفع الستارة عن عربة من عربات القطار وكان الستارة جدار العربة الرابع نزيله ليتمكن الجمهور من رؤية وسماع ما يجري في هذه العربة • فنرى بالفعل ستة اشخاص انيقين يجلسون على مقعدي الدرجة الاولى ، وخمسة عشر شخصا بين فلاحين وعمال يتدثرون بالبطانيات ويجلسون منكمشين تحت الاغطية وكانهم قنافذ ، يجلس عشرة منهم على مقعدي الدرجة الثانية وخمسة على الارضية ، ويبدون في حالة نعاس) ••

(الاضاءة في الدرجة الاولى اقوى منها في الدرجة الثانية)

الوجيــه : (يقف الى النافذة يدخن بغليونه ، ويستدير نحو الصالة) :

آه ! يا لهـذا الجو ! كأننا في عصر من العصور الجليديـة .

(للشيخ) هـل سبق لسيدنا أن قرأ شيئاً عن العصور الجليدية .

الشيــخ : خرافة كهذه لا أهتم بهـا أيها السيد المحترم .

الوجيــه : (ضحكة خفيفة) آ .. حقاً .. هي تبدو خرافة

للوهلة الاولى . لكن العلـم على ما يبدو أثبت حقيقتهـا .

الشيـخ : يجب ألا تؤمن بما يناقض الحقيقة .

الوجيـه : أية حقيقة ؟

الشيـخ : حقيقة ان الله جلت قدرته ، خلق الكون كله ، وما على الأرض من النبات والحيوان في ستة أيام . بعدئذ خلق آدم . ألا تنفي هذه الحقيقة حكاية العصور هذه التي يسمونها ...

الوجيـه : الجيولوجية ؟ (يجلس بجانب الشيخ)

الشيـخ : نعم ، الجيولوجية .

الوجيـه : (منافقاً) حقا ياسيدنا ، حقا ، لقد غاب عني أن أذكر هـذه الحقيقة ، أفادنا الله من علمك كما أفادنا من بركتك .

الشيـخ : الحمد لله .

الوجيـه : المهم ، ياسيدنا .. بمَ تفسر هـذه الظاهـرة العجيبة ؟

الشيـخ : أية ظاهـرة ؟

الوجيـه : هـذا الجليد المستديم ، يغطي الأرض . انـه يهدد العالم بالبوار .

الشيـــخ : لا عجب أيها السيد المحترم،لا عجب . لو تأملنا ما انتهت اليه أخلاق الناس في هــذا الزمن ، لأدركنا بسهولة أن الكــون قارب النهاية . ان الله عز وجل غاضب على عباده .

جميع من في العربة ، عدا الفتاة ، في همهمة : اللهم عفوك ومغفرتك.. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ولا تجعلنا من الهالكين . آمين .

الوجيــه : (مذعوراً) أتكون النهاية حقاً ياسيدنا ؟

الشيـــخ : النهاية حتم علينا ، أيها السيد.انا لله وانا اليه لراجعون . وسعيد من رجع اليه طاهــر القلب والذيل ، مبرءاً من كل ذنب . المؤمــن الصالح يفرح بالمــوت يعيــده الى ربــه . الكافــرون والمنافقون هــم الذين يرتعدون خوفــاً مــن النهايــة .

السيدة العجوز : صدقت يا سيدنا .

السيـد : نعم ، فيالسعادة المؤمن بالرجوع الى الله .

الجميـــع : (عدا الفتاة) لا اله الا الله ، وحده لا شريك له.

الشيـــخ : (يغمض عينيه،ويده مشغولة بمسبحته آليا).

(لحظات صمت وسكون داخل العربة ، فنسمع مؤثرات القطــار)

الوجيه : (يحس بالملل ، ينظر الى الآخرين كأنه يريد أن يكلمهم ، ثم الى الفتاة) شيء ممل ، ها ؟

الفتاة : اتكلمني أنا ؟

الوجيه : ان لم يكن لديك مانع .. نتسلّى .

الفتاة : (تبتسم ببراءة) ...

الوجيه : هل أفسر ابتسامتك بالرضا أم أفسرها بالحذر؟

الفتاة : (تبتسم) ...

الوجيه : (يحس بنظرات أهل في الدرجة الأولى ، يحس بالحرج . ينهض ويقف الى النافذة)

السيدة : بوركت يا آنسة .. تصرفت معه كما يجب أن تتصرف المرأة الصالحة .

الفتاة : (دَهِشة) أنا ؟

السيدة : نعم..المرأة يجب أن تكون حذرة من الرجال.. حتى لو كانوا محترمين مثل هذا السيد . فالدنيا ليس لها أمان . أليست كذلك ؟

الفتاة : (تبتسم) ...

السيدة : حسناً ، بماذا أفسر أنا ابتسامتك ؟

الفتاة : (تبتسم) ...

السيـدة : (تنظر حولها متضايقة ، ثم تصرف اهتمامهـا الى نفسهـا) ...

(الجميـع ، عـدا الوجيه والفتاة ، مغمضون أعينهم الآن . يستدير الوجيه ، فيرى الناس غافلين ، فيستغل الفرصة و يحدق الى الفتـاة بتشهٍ) .

(فجأة تزعق صافـرة القطار عـدة زعقات ، والمؤثرات تدل على أنه خفف سرعته الى الحد الأدنى ، ثم يتوقف . يرفـع أصحاب الدرجـة الأولى رؤوسهـم .. الوجيه يستدير ويحـدق خـارج القطار ...)

السيدة العجوز : (بذعر) أهي محطة ؟

الوجيـــه : لا تخافي ياسيدتي ، لا توجد محطة هنا .

السيدة العجوز : ما الذي حدث اذن حتى توقف القطار ؟

الوجيـــه : انني أحاول أن أرى . (يرفع زجاج النافذة) ها هو السائق يتمطى هناك .. (ينادي) أنت ، أيها السائق .. ما الذي أوقف القطار ؟

صوت السائق : لا تقلقوا ، انها جثة دابة ملقاة على السكة .

الوجيـــه : (يغلق النافذة) انهـا جثة دابة على السكة .

السيدة العجوز : لطفك يارب وعفوك .

السيدة : تعني أنها ميتة في هذا العراء الموحش وحدها ؟

الوجيه : (يهز برأسه) ...

السيدة العجوز : من البرد يا حرام !

الشيخ : ولماذا أطالوا الوقوف هكذا ؟

الوجيه : انهم يحاولون ابعاد الجثة عن السكة .

الفتاة : (تندفع الى النافذة ، تفتحها بسرعة وتمد رأسها خارجاً)

السيدة العجوز : من أجل الله يا ابنتي .. أغلقي هذه النافذة ، فالبرد (لا تكمل) ..

الفتاة : (تلتفت الى العجوز) لحظة واحدة ياسيدتي .. أريد أن أرى كيف تبدو جثة حيوان مات وحيداً ، وسط هذا البرد .

الجميع : (يضحكون بمرح مفاجىء) ...

الوجيه : (للسيد) انها آنسة ظريفة .

السيد : فعلا .. رغم أنها بدت طوال الوقت الماضي كأنها مريضة بعلة ما .

الوجيه : كانت جامدة من البرد ، مثل بقية خلق الله

السيد : جائز .. ولكني أميل الى أنها مريضة .

الفتاة : (تتراجع مقفلة النافذة) ...

الوجيـــه : ها ، كيف بدت لك الجثة ؟

الفتـــاة : لم أتمكن من رؤية شيء .

الوجيـــه : العمل يجـري في مقدمة القاطـرة ، اذا أردت رافقتك ؟

السيـدة : اجلسي يا فتاة ، فالبرد مميت في الخارج .

السيدة العجوز : نعم ، يا ابنتي ، اجلسي ، لا نريد المزيد من نذر الموت .

(الفتاة تظـل واقفة الى النافذة في حـين نرى الطريد وقد تسلل من الصالة ، الى حافة خشبة المسرح ، وشرع يتلصَّص إلى المسرح كأنه يفعل ذلك من خلال نافذة ، وفي الوقت نفسه يتلفت حوله حذراً)

الفتـــاة : (كأنها تحدث نفسها) ستظل الجثة وحدها . الثلج تحتهـا وفوقهـا .. لن تجـد من يريق عليها دمعة واحدة ، تذيب الثلج .

الوجيـــه : كنتِ ألطف ، قبل لحظات ، وأنت تقولين نكتة .

الفتـــاة : أنا قلت نكتة ؟

الوجيـــه : هيا لا تكتئبي .

السيدة العجوز : المسكينة ، قلبهـا رقيق .. توشك أن تبكـي موت حيوان تافه .

الوجيـه : حقاً ؟ أتريدين البكاء من أجل دابة ؟

الفتـاة : انا ؟ لا . لا أستطيع البكاء .

الوجيـه : (يضحك) هذه نكتة حلوة أيضا .

(صافرة القطار تزعـق ، ثـم يتحرك القطار متابعاً سيره ، وفي الوقت نفسه يقفز الطريـد الى العربة،ويتوقف لحظات وهو يلهث ، وينظر بحذر..ثم يندفع الى الجلوس في المكان الوحيد الذي رآه شاغرا .. مكان الفتـاة التي كانت تنظر للخارج .. المسافرون جميعا ينظرون الى الطريد ، وهو يرمقهم بنظرات سريعة) .

السيـدة : انه غريب عن عربتنا ، أليس كذلك ؟

السيـد : لعله هبط من القطار لحاجة عابرة ، ثم صعد الى هذه العربة بالخطأ .

السيـدة : كيف يخطىء المرء في تمييز عربته ؟

السيـد : العربات كلها متشابهة ياسيدتي . ما الفرق ؟

السيـدة : (تمط بوزها بمعنى : لا يهم) ...

(الجميع يعودون الى وضعهم الجامـد مغلقين أعينهـم) .

الفتـاة : (تهم بالجلوس فترى مكانها مشغولا ، تحدق الى الطريد دَهِشة) .

الطريـد : (يخفض وجهه حذراً منها) ..

الفتـاة : يا سيد .. هذا مكاني .

الطريـد : (يرفع رأسه ، وكأنه اكتشف شيئاً في صوتها).

الفتـاة : أعني .. أظنه مكاني .

الطريـد : (ناهضا بسرعة) انـه ليس مكاني على كـل حال ، لا تؤاخذيني .

الفتـاة : (متأثرة بمظهره) اسمع .. أنا لست واثقة .. قد لا يكون هذا مكاني ..

الطريـد : كيف ؟

الفتـاة : قبل توقف القطار كنت أجلس هنا .

الطريـد : اذن هو مكانك .

الفتـاة : وأنت ؟

الطريـد : أنا ؟ لا يهم ياآنسة . انني .. (يتوقف حذراً ، ثم يهرب الى حافة المسرح ، حيث يقف وكأنه الى نافذة)

الفتـاة : (تتأمله متأثرة ، ثم تقترب منه) لا أريـد أن أكـون فضولية . ولكـن لـماذا سكت فجـأة وابتعدت عني ؟

الطريـد : لا شيء ياآنسة ، أردت أن أقف الى النافـذة ، هذا كل شيء .

الفتـــاة : ولماذا تتهرب بوجهك مني. هل تؤذيك رؤيتي؟

الطريـد : (يلتفت اليهـا بحـدة نسبية ، يحملق فيهـا طويـلا) ...

الفتـــاة : اني وجهي ما يروعك ؟

الطريـد : (يبتسم) ...

الفتـــاة : هذا أفضل .. ما دمت تبتسم في وجهي .. فهذا يعني .. (تغير الحديث) أيـن كان مكانك في القطـار ؟

الطريـد : (يستدير الى الجمهور ، وهو يهز رأسه نفياً) انني لا أملك أي مكان في هذا القطار . .

الفتـــاة : تعني .. أنـك مثل هـؤلاء المساكين ، الذين يجلسون هنـاك (مشيرة الى الجالسين علـى الأرض في الدرجـة الثانية ، فينظر الطريـد اليهم ثم يبتسم بمرارة)

الطريـد : ليس هذا ما أعنيه بالضبط .

الفتـــاة : ماذا تعني اذن ؟

الطريـد : (يحدق الى وجهها ، ثم يستدير الى الصالة) . .

الفتـــاة : أنا آسفة .. يبدو أنك لا تحب الحديث مع من لا تعرفه . (تتنهـد) عجيب أمـر الناس .. باتوا دون مـودة ، وكل منهم يَبدو حـذراً من

الآخر . ما هي المسألة ؟ أتستطيع أنت اخباري؟

الطريـد : (يستدير اليهـا متعاطفا) أتراك ساذجـة أم بريئة حقا ؟

الفتـــاة : لا أدري ، ما رأيك أنت ؟

الطريـد : (يبتسم ثم يقول بجد) المسألة معقدة .. ومن الأفضل (يتردد) ...

الفتـــاة : (بلهفة الفضولي) ماذا ؟

الطريـد : حسناً . بماذا تريدين أن أخبرك ؟

الفتـــاة : أخبرني على الأقل ما الذي جاء بك الى هـذا القطـار ؟

الطريـد : صعدت اليه عند توقفه .

الفتـــاة : عجيب ! حسبت أنه توقف في منطقة لا حياة فيها؟

الطريـد : هذا صحيح .

الفتـــاة : من أين جئت اذن ؟

الطريـد : من منطقة أخرى .. بعيدة .

الفتـــاة : لابد أنك تملك قـوة هائلـة ، حتى استطعت الصمود في هذا البرد ، سائراً على قدميك فوق الجليـد .

الطريـد : (يتثاءب) ...

الفتـــاة : ولكن .. الواضح انك مهدود من الارهـــاق . تعال .. تعال اجلس مكاني وأرح جسمك .

الطريـد : لا ياآنسة .. أشكرك .. اذهبي أنت ولا تهتمي بي . ساجلس هنا ، (يجلس فعلا ، متكوراً على نفسه من البرد) .

الفتـــاة : (تهم بالكلام ولكنها تتراجع الى مكانها صامتة وتجلس ..)

(الجميع ساكنون ، أغمضوا العيون .. الطريد يغفو في الحـــال .. الفتاة تحـذو حذوهـــم ، مؤثرات القطار واضحة)

(تعتيم تدريجـي للمسرح ، مـــع تلاش بطيء لمؤثرات القطار)

(موسيقا عسكرية لمدة دقيقة تمهـد للمشهد الثانـي) .

المشهد الثاني

(مع الموسيقا العسكرية نسمع صخب مظاهـرة جماهيرية غير واضح)
(اضاءة موضعية لمقدمة خشبة المسرح على الطريـد وهـو يقف وقفة شموخ ، وفي يده سيف مسلول يمده جانبا) ..

الطريـد : أيتها المدينة المخـدرة .. يامدينتي المغموسة بالدماء والجليد .. بالخوف والنتن .. قد آن لـك أن تنهضي .. أن تُبعثي .. آن للقصور والأصنام فيك أن تهـوي وتتحول الى أنقاض يفيد منها طلاب التاريخ .. أما أنتم يا طلاب الحق والعدالة ، أمـا أنتم يا اخوتي ، فاليّ اليّ من مراقدكـم ، رجـالا يقهرون الموت ، ويصنعون التاريخ ...

العامل الأول : (من الدرجة الثانية) : عاش الزعيم .

العمال والفلاحون :(في الدرجة الثانية) : عاش عاش عاش .

الطريـد : يا اخوتي .. يا أحباء قلبي .. بصوتكم هذا ، بارادتكم هذه ، أتجه الى المدينة بسيفي ، وأنا أعظم تصميماً من أي يوم مضى ..

(تصفيق العمال والفلاحين)

الطريد : (يستدير الى المسرح ، مـادأ سيفه) والآن ، أيتها المدينة العظيمة .. انهضي ، وتحرري..

(مؤثرات انهيار كالرعد)

(صيحات الفرح : هِـي ، من الفلاحين والعمال)

(العمال والفلاحون يتقدمون بصورة كتلة من الطريد حتى يلتحموا به تقريبا)

العامل الأول : (أثناء اقترابهم) المدينة قامت !

الفلاح الأول : الأرض أزهرت !

العامل الأول : المدينة عمرت !

الفلاح الأول : انهـار القصر !

العامل الأول : تحطمت الأصنام !

الفلاح الأول : (في بقعة الضوء) عاش الزعيم .

الآخـرون : عاش عاش عاش .

العامل الأول : قولوا معي يامساكين الأرض ، رددوا : عاش زعيمنا العظيم !

الآخـرون : عاش زعيمنا العظيم !

العامل الأول : يا بدرنا في الليل !

الآخـرون : يا بدرنا في الليل !

العامل الأول : يا شمسنا في النهار !

الآخـــرون : يا شمسنا في النهار !

العامل الأول : يا أمنا وأبانا !

الآخـــرون : يا أمنا وأبانا !

العامل الأول : يا باعث الموتى والمطر !

الآخـــرون : يا باعث الموتى والمطر !

العامل الأول : الحمد لك والشكر لك !

الآخـــرون : الحمد لك والشكر لك !

الطريـــد : (معترضاً) يا اخوتـــي .. يا اخوتـــي .. أنا أخوكم ، أنا منكم ولكم .

الفلاح الأول : أنت سماد الأرض ، في يدك البركة والدفء .

الآخـــرون : الحمد لك والشكر لك .

الطريـــد : يا اخوتي مهلا ...

العامل الأول : (مقاطعاً) وأنت الحر الذي حررنا ، والسيف الذي قادنا .

الآخـــرون : الحمد لك والشكر لك .

الطريـــد : يا اخوتي يا اخوتي ..

العامل الأول : لا عبودية بعد اليوم .

ولا استغلال .

الفلاح الأول : الحمد لك والشكر لك .

الآخــرون : (متشامخاً أكثر الآن ، يرفــع يديــه بامتنان

الطريــد : المتفضل) ... (الآخـرون ينشقون فجــأة الى صفين يوسعون الطريق للفتــاة وهي تدخــل بقعة الضوء في رداء أبيض حريري ، تحمل في يدها اكليل الغــار)

الآخــرون : (يهتفــون) نحن شعبك ، نحن جيشك ، أنت الأب والزعيم ..

(تصفيـــق)

الفتـــاة : (تنحني ثم تقول) سيدي العظيم .. شرفتني المدينة .. باختيارهــا اياي .. أول أضحيــة للعهد الجديد المقدس .

(تتقدم ، تضع الاكليل حــول رقبة الطريد ، ثم تركع أمامه) .

الآخــرون : باركنا وبارك مدينتك يازعيمنا !

الطريــد : (يرفع يديه مهدئاً) لا .. لا مذبح بعد اليوم.. لا أضحيات !

(يرمي سيفه على الأرض،ويركع أمام الفتاة يلمس رأسها) انهضي أيتها المواطنة البارة..

ياعروس مدينتي في فجر بعثها .. لقد اختارتك المدينة .. ولكـن لا لتذبحي .. بل لتمثيلهـا عروسا ، تزفين اليّ في يوم الانتصار .

الآخـــرون : (هتافات فرح) ...

(وسط الهتافـات ينهض الطريـد والفتاة ، ويمد يديه يفك أزرار ثوبها ويبدأ بتعريتها)

(تعتيم تدريجي وموسيقا أرغـن يرافقـان التعريـة) .

المشهد الثالث

(تدوم العتمة نحو دقيقة تصحبها الموسيقا ثـم تتلاشى بالتدريج ·· وتتوضح مؤثـرات القطار ، مـع بدء اضاءة خشبة المسرح كما هـي في المشهد الاول) ·

(الطريد يتململ في نومه ، ثم يرفع راسه فجاة ، وينظر حوله في العربة بوجوم ·· ثم ينفض راسه كمن يطرد منه فكـرة او نوما ، وينهض ، يتمطى ·· الفتاة تفتح عينيها وتحملق فيه ·· يقف الى النافذة وينظر في اتجاهي القطار ، ثـم يتخـذ وضع من يتذكر شيئا ، فتاتي الفتاة وتقف معه) ·

الفتـــاة : ماذا هناك ؟

الطريـــد : (وهو ينظر للخارج) لا شيء بعد .. الا هذا المـدى مـن البياض الجـارح .. الوقـح .. اللامتناهي · (يحملق فيها فجأة) ·

الفتـــاة : ما بالك تحملق بي هكذا ؟

الطريـــد : ها ؟ لا .. انها فكرة خطرت لـي · (يضحك) عاش الزعيم ·

الفتـــاة : أي زعيـم ؟

الطريـــد : انني أتحدث مـع نفسي ، فلا تنتبهي دائمـا لمـا أقوله ·

الفتــاة : ولماذا تتحدث الى نفسك ؟

الطريــد : ألم يحدث أن تحدثت الى نفسك مطلقا ؟

الفتــاة : لا أدري ـ أعني : لا أتذكر . (بعد قليل) أنت غريب الأطوار ، لا تشبه الآخرين .

الطريــد : (يضحك) عاش الزعيم (مفسراً لها) حلمت الآن بأني زعيم والناس يهتفون لـي : عاش الزعيم ، وغير ذلك .

الفتــاة : ماذا تكون أنت في الحقيقة ؟

الطريــد : معلماً (مستدركا) كنت معلما .

الفتــاة : والآن ؟

الطريــد : الآن .. (يشير بحركة يديه أن لا شيء) ... (بعد قليل) وأنت ؟

الفتــاة : (تنظر اليه متسائلة) ...

الطريــد : ما تكونين ؟

الفتــاة : لا أدري .

الطريــد : كيف لا تدرين ؟

الفتــاة : (تمد بوزها بمعنى هكذا) ...

الطريــد : ما اسمك ؟

الفتـــاة : (تحاول التذكر) اسمي ... أنساه دائماً .

الطريـد : تنسين اسمك ؟

الفتـــاة : (ببساطة) ولكني أحمل بطاقة عليها صورتي واسمـي .

الطريـد : تعنين الهوية ؟

الفتـــاة : لا أدري . هكذا يسمونها هم .

الطريـد : من « هم »

الفتـــاة : رجل رهيب .. يسمونه المدير .

الطريـد : مدير ماذا ؟

الفتـــاة : مدير المكان الذي كنت أعيش فيه .

الطريـد : تقصدين مدرسة داخلية .

الفتـــاة : (تهز رأسها نفياً) ...

الطريـد : ما هو اذن ؟ سجن ، مستشفى ، ميتم ؟

الفتـــاة : لا أدري . انه مكان .. كنت أعيش فيه تائهة طوال الوقت ، كمن أصيب بغيبوبة .

الطريـد : وبعد ؟

الفتـــاة : قرروا أن أترك المكـان . أعطوني البطاقة . ثم سلموني الى الحارس فقادني الى القطـار ، وأدخلني هذه العربة .

الطريد : لماذا ، اتذهبين الى مكان معين ؟

الفتاة : اخبرني الرجل بأن أبقى في القطار حتى آخر محطة .

الطريد : (ينظر بدهشة) ..

الفتاة : ماذا ؟

الطريد : يبدو أنهم خدعوك . هذا القطار يا آنسة ليس له محطة أخيرة ، فهو يتبع خطا دائريا ، انه يدور هكذا .

الفتاة : (د هشة) ..

الطريد : (مبتسما) لعبة مسلية ، هه ؟ ولكن اسمعي.. تذكرت الآن .

الفتاة : ماذا ؟

الطريد : وجهك .. نعم .. أنت الحسناء التي شاركتني في الحلم .

الفتاة : (لا تفهم) ...

الطريد : يا له من حلم عجيب !

الفتاة : الحلم بأنك زعيم ؟

الطريد : ليس العجب هنا . انه .. انه .. كيف أقول لك ؟ كنت أنت زوجتي في نهايته .

الفتـــاة : حقـــاً ؟

الطريـــد : نعم أنت .. كنت ترتدين رداء حريرياً أبيض و .. (يضحك) . .

الفتـــاة : آه ياسيدي .. ولكن هذا محزن .

الطريـــد : محزن ؟ لماذا هو محزن ؟

الفتـــاة : في ذلك المكان .. سمعتهم يقولون انـــي فقدت كل شيء .. حتى القدرة على الحبل .

الطريـــد : حقـــاً ؟

الفتـــاة : شيء محزن كما ترى .

الطريـــد : لو أدركت هذا في الحلـــم ، لأنقذتـــك كمـــا أنقذت المدينة .

الفتـــاة : قيل لي هناك .. بأن كل محاولة أخرى لانقاذي ستكون خائبة .

الطريـــد : ولكن كيف حصل الأمر ؟

الفتـــاة : قالوا انني نمت أكثر ممـــا ينبغي للانسان أن ينام . كان نومي الطويل يتخمر ويتحول الى .. شيء يشبه السم .. يتلف كل قـــدرة خلاقة في الانسان .

الطريـــد : (ينظر اليها بامعان من أدرك المسألة) ..

الفتـــاة : قالوا انني كنت ميتة موتاً كاملا لولا المعجزة .

الطريـد : أية معجزة ؟

الفتـــاة : لا أدري . هكذا قالوا . (مستدركة) أنا لا أفهم معنى الكثير من الكلمات .

الطريـد : (بعد قليل) ما سبب ذلك النوم الطويل ؟

الفتـــاة : قالوا ان السبب .. ربما يكون محاولة للتخلص من الشعور بالذنب أو بالوحدة .

الطريـد : هل أذنبت ؟

الفتـــاة : لا أدري .

الطريـد : هل كنت وحيدة ؟

الفتـــاة : لا أدري . (مستدركـة) ولكني الآن وحيـدة بالفعل . (ثم كأنها تخاطب نفسها) نعم ، انني وحيدة تماما . ويساورني خوف دائـم من أن أعـود الى النوم . (تلتفت اليه) لا أريـد أن أموت . أتفهم ياسيد ؟ لا أريد أن أموت .

الطريـد : حسنا ، تخلصي من الوحدة .

الفتـــاة : كيف ؟

الطريـد : لو كنت أستطيع الزواج بك (لا يكمل) ...

الفتـــاة : لا أصلح للزواج ياسيدي .. ألم أخبرك بأنني عاقـــر ؟

الطريـد : ليس لهـــذا السبب .. أنت يلزمـك مـأوى وتحتاجـين الى رعاية كاملـة ، أنا لا يمكنني تأمينها لك .. الآن على الأقل .

الفتـــاة : لمـاذا ؟

الطريـد : (ينظر حوله حذراً) لانني .. مطارد .

الفتـــاة : مطارد ؟ من يطاردك ؟

الطريـد : العدالــة .

الفتـــاة : العدالة ؟

الطريـد : اخفضي صوتك .

(يتلفتان .. أصحاب الدرجة الأولى يحملقون فيهمـــا) .

الفتـــاة : (باصـرار الفضولي) أخبرني .. مـا هـي العدالــة ؟

الطريـد : اذهبي الآن الى مكانك .. انهم يلاحظوننا .

الفتـــاة : ومـا شأنهم بنا ؟ ، اننا حرّان .. مـا دمنا لا نزعجهم .

الطريـد : اننا نزعجهم بالفعل .

الفتـــاة : لماذا ، ما الذي فعلناه مما يزعجهم ؟

الطريد : سنتكلم فيما بعد . (يلمس كتفها ، يحثهـا) هيا ، اذهبي .

الفتاة : (تعود الى مكانها مذعنة) ...

الشيخ : (يتنحنح) .. هذا السلوك لا يجوز ياأمة الله.

الفتاة : (تستدير اليه) السلوك ؟

الشيخ : نعم .. ان تجتمع امـرأة برجـل غريب ، في غفلة من الناس .

الفتاة : أهو خطـأ ؟

الشيخ : بالطبع يا أمة الله . فهي طريقة الشيطان كي يضل العباد عن طريق الله عز وجل .

الفتاة : الشيطان ؟ من يكون الشيطان ؟

(الجميع يحملقون فيها باستنكار)

الشيخ : ألا تعرفين الشيطان ؟

الفتاة : لا أدري. هل هو ذلك الرجل الغريب ؟

الشيخ : انـه لا يجـرؤ على اتخـاذ هيئـة الانسان .. ولكنه كثيرا ما يلجأ الى دخيلة الانسان .

الفتاة : (ضاحكة) تدري ياسيد ؟. أنا لا أفهم ما تقول.

الشيخ : (صارف النظر) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم لطفك وعفوك ومغفرتـك . اللهـم اهـدنا سـواء السبيل (ويسترسل في همهمة غير مفهومة) ..

الفتـــاة : (تصرف عنه النظر متعجبة)هو الآخر يتحدث الى نفسه الآن .

الوجيـــه : اسمعي يا أنسة .. يجب أن تعتذري لفضيلة سيدنا الشيخ .

الفتـــاة : (تنظر اليه والى الشيخ بدهشة)

الوجيـــه : أنت والحق يقال لطيفة وأنيسة . ويبدو انك أحيانا تحبين المزاح ، ولكن المزاح في الامـور الدينية لا يجوز .

الفتـــاة : أنا لم أمزح ياسيد .

الوجيـــه : أكنت جادة في ... آه ! استغفري الله ياأنسة .

الشيـــخ : دعها .. نار جهنم واسعة .

السيدة العجوز : اللهم ارحمنا واغفر لنا .

السيـــد : جيل هذا الزمان كله كافر .

الشيـــخ : نار جهنم واسعة .

السيدة العجوز : يالطيف الطف بنـا وارحمنا ، ولا تجعلنا مـن أهلهـا ؟

الآخـــرون : آمـين .

(الجميع الآن يحملقون في الفتـــاة باستنكـــار ولكن بجمود) .

الوجيـــه : (بعد سكون لحظات للسيدة العجوز) اسمعي ياسيدتي النبيلة .. اذا كنت متضايقة من هذا المكان ، فاني أتخلى لك عن مكاني .

السيدة العجوز : (راغبة) آه ، هذا كرم منك .

الوجيـــه : تفضلي (ينهض ويتبادلان مكانيهما) .

(يسود السكون من جديد ، ويعود المسافرون الى غفوتهم) .

(الوجيه) يفـــرك يديـــه بعضهمـــا ببعض ، ملصقا كتفه بكتف الفتاة) .

الفتـــاة : أأنت بَرِد ؟

الوجيـــه : (يتلفت بحذر ، ويقول بصوت منخفض) نعم يا آنسة .. ولكنه برد خاص .

الفتـــاة : برد خاص ؟

الوجيـــه : (يهـــز برأسه مبتسما) ... لا ريب في أنـــك تفهمين ، هه ؟

الفتـــاة : أنا أعرف أن البرد برد .. أما أن يكون هناك برد خاص وبرد عام ؟

الوجيــه : (يتلفت حوله محرجا)

الفتــاة : الحـق ياسيدي .. أنتم تدهشونني بكلامكـم (مستدركة) أعني أنه مثير .. ولكنني لا أفهمه.

الوجيــه : (يميل عليهـا أكثـر) ستفهمينه ، اسمعـي ياآنستي الحلوة . الخاص يعني الشخصي .. اذن فهو برد شخصي .. لا يرده معطف ، لانه يخترق الـدرع الحديـدي نفسه ، الى القلب مباشرة ، فيحرقه حرقا .

الفتــاة : برد ويحرق ؟

الوجيــه : نعم .. انه بالأحرى نار .. نعم .. دعينا نقل أنه نار .

الفتــاة : (تضحك بمرح) أنت تحكي عن أشياءطريفة، حكاية البرد ، الذي هـو نار في الوقت نفسه ، أطرف حكاية سمعتها .

الوجيــه : (محرج أمام نظرات الآخرين الذين استفاقوا على ضحك الفتاة ، ينكمش مكانه) .

(السكون من جديد)

الفتــاة : (متحيرة ، تتنبه الى الطريـد يحدق اليها مـن مكانه .. تنهض وتتجه اليه حتى تتوقف قربه) ما بالك تحدق اليّ طوال هذا الوقت ؟

الطريـد : في الخارج لا شيء سوى الجليد .. هنا في الداخل لا يوجد شيء مريح سوى وجهك هذا .

الفتـاة : (تبتسم) ...

الطريـد : تدرين ؟ لا أطمئن الى شيء في هذا المكان غيرك. انـه شعوري منذ سمعت صوتك الغريب أول مـرة ، ورأيت عينيك ووجهك .. البراءة ، دهشة الانسان البدائي الاول ، وشيء آخر .. غامض ، لم أدرك بعد ماهو .. يجتذبني اليك بقوة .

الفتـاة : ولكن حتى الآن ، لم تخبرني من أنت .

الطريـد : أنا ؟ (بعد قليل) قبل لحظات ، كنت أغوص في ظلمة عالم الجليد الابيض ، من وراء هـذا الزجاج المصقع .. راودتني فكرة تشبه الجليد تماما .. بأنني انسان وحيد . عندئذ أحسست بخواء يملأ رأسي وقلبي . .فكأنني أحتضر . (يسكت) .

الفتـاة : والآن ؟

الطريـد : الآن ؟ لا .. بمجرد أن استدرت نحوك،ورأيت بياض وجهك أنت وبريق عينيك .. أدركتني فكرة أخرى تشبه الماء الساخن. .أذابت الجليد الذي ملأ رأسي.لقد فكرت : انها محتاجة الي.

الفتـــاة : (بشوق) وبعد ، تكلم ، فاني أحببت كلامك .

الطريـد : وبعد يا فتاتي .. أحسست برغبة في أن اركع بجـانب ساقيـك ، وأركـن رأسي المتعب الى ركبتيك ، وأحكي لك عن بلـد أرجوه ، غـير هذا البلد الذي نعيش فيه .

الفتـــاة : أفضلُ من هذا ؟

الطريـد : نعم . لا يعرف كثيرا من الكلمات التي نعرفها.

الفتـــاة : تعني مثلي أنا .

الطريـد : (يهز رأسه) ... لا يعرف المشافي العقلية ، لا يعرف السجون ، لا يعرف الشرطة ، لا يعرف الكهان ، ولا ولا ولا ...

الفتـــاة : (تبتسم بنشوة) ...

الطريـد : ما أجمل ابتسامتك..انها تقهر الشحوب الذي يسكن وجهك .

الفتـــاة : انني سعيدة .. تبهجني كلماتك .

الشيـــخ : (فجأة) أيها الرجل .. هـذا عمل محرم .. اتق الله واذكر يوم الحساب .

الطريـد : (يتأمـل الشيخ ، ثـم يقترب منه) أيتفضل السيد بتفسير ماهو محرم في أن يبتسم الناس بعضهم للبعض الآخر ؟

الشيـــخ : ليس الابتسام محرما يا عبدالله .. انه ما وراء الابتسام من نيات خبيثة .

الطريـد : كيف يمكنك أن تعرف هـــذه النيات ان كانت خبيثة أم لا ؟

الشيـــخ : الله سبحانه وتعالى هو العالم بالسر وما يخفى.

الطريـد : اذن ، أنت لا تعلم ؟

الشيـــخ : أستغفر الله العظيم ، لا يشاركه في قدرته أحد.

السيـد : الله أكبر الله أكبر .

الطريـد : حسنا ، قل لي اذن ياسيدي..ما دمت لا تعلم.. وما دام العلم لله وحده ، كيف حكمت أنت بأن نية خبيثة وراء ابتسامنا ؟

الشيـــخ : هذا واضح ياعبد الله ، رجل وامـــرأة ، كـــل منهما أجنبي عن الآخـــر .. يبتسم أحدهمـــا للآخـــر ، ويسبق ذلـــك حديث أيضا .. أليس الأمر واضحا ؟

السيدة العجوز : تماما .. الأمر واضح ياسيدنا الشيخ .

الوجيـــه : كن واسع الصدر ياسيدنا .. سآخذ الأمر على عاتقي ، سأحرس الآنسة وأُعنى بهـــا ، كمـــا ينبغي لرجل شريف أن يفعل مع امرأة ضعيفة.

الشيـــخ : بارك الله بك أيها السيد المحترم . وأنت ياأمة

الله ، استحي، وكفّي عن هذا السلوك الشائن. الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها .

الفتـــاة : (دهشة تتلمس ثدييها ثم تقول) لكنني لم آكل بثديي أيها الأخ . أنظر (تحاول الكشف عن صدرها) سأريكهما لتتأكد .. انهما لا يصلحان للأكل على كل حال .

(أثناء ذلك تجحظ عيون جميع من في العربة، وتتأوه النساء استنكاراً) .

الشيـــخ : (يصرخ مقاطعا) اخرسي واحتشمي ، استري صدرك ..

الفتـــاة : (تلملم صدرها وهي أشدّ دهشة) ...

الشيـــخ : (مستمرأ) أنت ملعونة ! أنت ملعونة ! لابد أن الشيطان قد دخلك .

الفتـــاة : الشيطان؟ كيف يدخلني؟ (تتلفت تريد جوابا)

(الاستنكار في العيون والهمسات المتبادلة)

الفتـــاة : ولكن ما هو الشيطان ، لم تخبرني .

الشيـــخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !

الجميـــع : (بآلية) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !

الشيـــخ : (يهمهم بالأدعية) ...

الوجيـــه : اسمعي يا آنسة ، اذا استمر هذا المزاح منك ، فستكون العاقبة سيئة .

الفتـــاة : ولكني سبق أن أخبرتك ، أنني لا أمزح .

الوجيـــه : (يقبض على ذراعها) يا آنسة أنت تمزحين . (يغمزها) هيا اعترفي بأنك كنت مازحة ، لا تغضبي سيدنا .

الفتـــاة : (حائـــرة)

الوجيـــه : اذهبي اليه ، هيا ، قبلي يده ، واستغفريه عما بدر منك . انظري .. الجميع مستاؤون منك .

الفتـــاة : مني أنا ؟

الوجيـــه : (يهز برأسه)

الفتـــاة : ويحـــي !

الوجيـــه : عليك اذن أن تستغفري وتقبلي يد سيدنا .

الفتـــاة : (مندفعة تقبل يد الشيخ وتقول) اغفر لـــي ياأخ ، أنا لا أحب أن يغضب مني أحد .

الطريـــد : (يرتجف غضبا في الاثناء) .

الشيـــخ : (مذعوراً من طراوة شفتيها) اليك عني ، أنت ملعونة ، لا تقتربي مني .

الفتـــاة : (تتراجع مذعورة دَهِشة من مسلكه ، تلوب بوجهها حولها ، تعاني من العذاب) .

الطريـد : (غضباً) يمكنك أن تكون لطيفا معهـا أيهـا السيد . انها فتاة مسكينة ولا تفقه شيئا .

الشيـــخ : انها ملعونة .

الطريـد : (متابعا) ثم انك ، آخر الأمـر ، لست الاله لتتكبر على الناس هكذا ، أو حتى لتحاسبهم .

الشيـــخ : اخرس يا عدو الله ، اخرس .

الوجيـــه : وما شأنك أنت ، ها ؟ قل لي لأرى .

الطريـد : (يحـاول ضبط نفسه) انهـا فتاة مسكينة ، مريضة ، ولا تفقه شيئا. فاذا كان الشيخ ممثلا لله على هذه الارض ، فليكن لها راعيا .. لا معذبا .. انظروا اليها .. (للشيخ) انظر أيها السيد ، جعلت روحها البريئة تتعذب .

الشيـــخ : ليس أنا من فعل ذلك .. انه الشيطان المتحـد بروحها . انها ملعونة . وكل من يقف في صفها ملعون .

الوجيـــه : (مذعوراً) ملعون ؟

الطريـد : على الأقل كان يجب ألا تدعها تقبل يدك .

(صدمة للجميع ، الذين بلغ بهم الهياج أشده)

السيـد : فيمَ تخرف أنت يارجل ؟

السيـدة : يد الشيخ الطاهرة مباركة .

السيدة العجوز : تتشرف أنت وأحسن الناس بتقبليها .

الوجيـه : من أين جاءتنا هذه الحشرة ؟

السيـدة : (باصقة عليه) تفوه !

الفتـاة : (منزعجة تركض الى الطريد تقف بجانبه ممسكة بيده) لماذا ؟ لماذا فعلت هذا يا خالة ؟

السيـدة : أأنت ياعاهرة تقولين هذا ؟

السيدة العجوز : اللهم استر علينا .

الوجيـه : كفى ، كفى يا جماعة ! لا نريد أن تحل الفوضى محل النظام .

السيدة العجوز : لابد من معاقبتهما .

السيـد : نعم يجب أن لا نترك هاتين الجرثومتين تفسدان عربتنا .

السيدة العجوز : ارموهما خارجا .

السيـدة : أو الى عربة أخرى .

السيـد : لنحتكم الى سيدنا والى السيد المبجل الذي يبدو أرفع الحاضرين حسبا وأجلهم شانا .

(لغط مــن الجميع : نعــم ، فليكن ، لنحتكــم لسيدنا الشيخ فهــو امامنا ، بــل لنحتكم الى سيدنا الشيخ والى الوجيه المحترم الخ ..)

الوجيـــه : يا سادة ، مهــلا ، وأنتم ياموا طنون سكوتا .. نرجو الهدوء ، الهدوء .

(يسود الهدوء)

الوجيـــه : هكــذا أفضل ، نستطيع الآن التبصر . القول الفصل لسيدنا الصالح ، أنا أتنازل عن حقي .

السيدة العجوز : حسنا ، نسمع قول سيدنا .

(سكون ، والشيخ مشغول بمسبحته أكثر مما يبدو مفكرا) .. (الطريد يبتعد بالفتاة الى حافة المسرح ، تتلفت هي قلقة) .

الطريـد : (يضع كفه على كتفها) لا تخافي .

الفتـــاة : (بعد لحظات تشعر بالطمأنينة فعلا ، تأخذ يد الطريد عن كتفها وتلثم راحتها)

(الطريد يبدو مرتاحا ، في حين ترتفع صرخات تأوه مــن السيدات ، وصيحات استنكار مــن الرجــال) .

السيدة العجوز : آه يا الهي !

السيـدة : يا لقلة الحياء !

الفلاحة (١) : يا للعاهرة !

الفلاح (١) : يالهما ملحدين !

الفلاح (٢) : ستقوم القيامة !

الجميع بذعر : اللهم عفوك ومغفرتك !

الشيـــخ : (يغلي غضبا) ياخفي الألطــاف ، نجنا ممــا نخــاف !

الوجيـــه : (مقتربا منهما) اسمعا . تجاوزتما كل الحدود وخصوصا أنت ؟

الفتـــاة : آه ياسيدي .. ليتني أفهم لغتكم ، فاني حقا لا أحب الاساءة اليكم .

الوجيـــه : (وبمعنى خاص) وهــل لغتنا .. تختلف عن لغتــه ؟

الفتـــاة : نعم .. بل اننا نتفاهم حتى دون كلمات تقال.

الوجيـــه : على رسلك. المهم يجب ألا تبقيا في هذه العربة هيا ، غادراها والا كانت العاقبة وخيمة .

السيدة العجوز : نعم ، ليغادرا عربتنا في الحال .

(لغط : نعم ، في الحال . نعم في الحال)

الفلاح الاول : والا قسماً برب العزة ، حصدت رأسيكما بهذا المنجــل .

الفلاحة الأولى : (ساخرة) المنجل الذي لم يعد يحصد قمحاً منذ سبع سنوات .

العامل الأول : ليسقط الملحدون !

العامل الثاني : ليسقط المخربون المندسون بيننا .

العامل الثالث : ليسقط المتحالفون مع الشيطان !

(لغط وذعر : الشيطان ! الشيطان ! الشيطان !)

العامل الرابع : هدوءاً يا قوم ! ما بالكم تكاتفتم عليهما دون وعي .

العامل الخامس : ما الذي فعلاه لكم أنتم ، هه ؟

العامل الأول : كل الذي فعلاه وتقول ماذا فعلا ؟

العامل الرابع : الذي فعلاه ضدهم (مشيراً للدرجة الاولى) ونحن لا شأن لنا بهؤلاء .

العامل الخامس : صدقت !

العامل الأول : بل كذب وكذبت .

الوجيه : (متدخلا) نعم كذبا . انهما يبدوان وكأنهما قد انحازا الى صفهما . وحسب فتوى سيدنا .. كل من يقف في صفهما ملعون .. لانهما ملعونان . أليس هذا هو حكمك ياسيدنا ؟

الشيـــخ : نعم ، هــذه هي الحقيقة ياعباد الله ، انهمــا ابليسان من أبالسة هــذا الزمان ، وحكمهما حكم ابليس الاول الذي طرده الله جلت حكمته من الجنة ، فنحن لا نفتي الا بما أفتى به الله عزّ وجل .

(الجميع يلغطون ، والفلاحون والعمال الثلاثة الأول يتقدمون كتلة واحدة متجمعين في حيــز الدرجة الأول ، الفتاة تخاف ، الطريد يحوطها بذراعــه)

أعوذ بالله من ابليس اللعين .

– ليسقط ابليس !

– لنقتل أبناء ابليس جميعا .

– ليسقط الكفرة والملحدون

– ليسقط العملاء والخونة

– ليسقط المتحالفون مع الشيطان !

الطريــد : لا تخافي . ولكن لا تتكلمي ما دامــوا هائجين .

الفتـــاة : ولكني لأفهم .. ما بهم ؟

الطريــد : انهم يتنزهون الآن .

الفتـــاة : يتنزهون ؟!

الطريـد : نعم ، هـذه طريقتهم للترفيه عن أنفسهم ، لا يملكون أية طريقة أخرى .

الفلاح الأول : انهما يسخران منا ، يشتماننا .

العامل الأول : هيا نقتلهما

السيدة : لا ، سلموهما الى شرطة أول محطة نصادفها .

الفلاح الأول : ألا يحق لنا قتلهما ؟

العامل الأول : بلى .

الفلاح الأول : قل ياسيدنا ، ننتظر فيهما كلمة منك .

الفلاحة الأولى : اتركوهما لله ، سلموهما للمحطة التالية .

العامل الثاني : دعونا نسمع صوت سيدنا .

العامل الأول : اصمتوا .

الفلاح الأول : أتحل لنا هدر دمهما ؟

الوجيـه : صمتا يارعاع ، ألا تفهمون !

(يصمت الجميع)

الشيـخ : (ينهض بوقار ، ويصعد على المقعد ، يتنحنح ثم يقول): ياعباد الله ، أيها المؤمنون الصالحون ان جزاء الآبقين لا يحتاج الى فتوى ، بعد قول الله فيهم .

الجميـــع : لا اله الا الله ، وحده لا شريك له .

الشيـــخ : (يرفع يده لاسكاتهم) الا أن الضرورة التي يقتضيها تغير الزمان ، ولكي لا يكون أمر الامة فوضى ، فان الجزاء يتولاه أولو الأمر منكم .

الوجيــــه : (مقاطعاً) نعم ، فأطيعوا أولي الأمر منكم .

الشيـــخ : (مؤكداً) نعم اذن . اتركوهما لأولي الأمر منكم . والسلام على من اتبع الهدى . (يهبط جالسا) .

العامل الأول : ولكن من هم أولو الأمر منا ؟

العامل الثاني : نعم ، لم نعد ندري من هم .

الفلاح الأول : أهناك غيرك ياسيدنا ؟

الوجيــــه : كفى ! (يصمتون) ياجهلـة ، يابهائـم ، لا تعرفون أولي الأمر منكم ؟

(لا أحد يتكلم)

الوجيــــه : (للطريد والفتاة) هيا ، مـاذا تنتظران ؟ أم أنكما ترغبان في الموت ؟

الطريـــد : أيها الأفعى الخبيثة السامة !

الوجيــــه : مـاذا ؟

الطريد : أيها المضلل . (للآخرين البسطاء) أتتبعونه وهو ليس منكم ؟

الوجيه : حسنا ، على رسلك .. سنحاكم الأمور .. اسمعوني .

العامل الاول : دعونا نسمع .

الوجيه : قبل أن يتسلل هذا الرجل الى عربتنا .. كنا ننعم بالسلام ، أليس كذلك ؟

الجميع تقريباً : نعم ، نعم هذا صحيح .

الوجيه : وكان انسجامنا كاملا ورائعاً ، لا صوت ناشز ، ولا حركة غير عادية تعكر هدوء حياتنا ، واسترسال خواطرنا وأحلامنا . كنتم أنتم ، يامواطني الاعزاء ، ساكنين هناك ، في أماكنكم تغطون في نوم هنيء ، وكان هؤلاء السادة المبجلون يتسامرون هاهنا ويتنسمون عبير العطور من سيداتنا الرائعات . كل منا كان في مكانه ، لا يتجاوز حدوده الى مكان الآخر . أليس هذا كله حقاً ؟

الجميع تقريبا : حق ، انه الحق ، فعلا هذا هو ما كان .

العاملان الرابع والخامس : بل انه الباطل . لا ، لم يكن حال العربة أفضل ، كان كل شيء ضدنا نحن .

الوجيه : والآن؟ انظروا كيف انقلبت الحال .. الفوضى، الحابل بالنابل ، التهديد والوعيد ، الصراخ والحركات الهستيرية ، باختصار : التسمم . لقد سممكم وجود هذا الرجل بيننا . فمن يكون منا الأفعى السامة الخبيثة ؟

الجميع تقريبا : انه هو ، الرجل الآبق ، الرجل الشيطان .

الوجيه : أرأيت اذن يا هذا ؟ أنت رجل مضيع معدوم الضمير .

الفتاة : الا يمكنك أن تظل لطيفا كما عرفتك من قبل؟

الوجيه : بعد أن تجاوزتما الحدود ؟

الفتاة : أية حدود هذه التي يُتحدث عنها، انني لا أفهم هذا السيد .

الوجيه : أعني حدود الانسجام ياحبيبتي .

الفتاة : الانسجام ؟

الوجيه : نعم ، انظري الآن حال العربة ؟

(بحركات ايمائية ترافقها موسيقا تعبر عن مظاهرات سياسية ، نرى الجميع منقسمين الآن حزبين .. السادة ومعهم العمال الثلاثة الأول، والفلاحون العشرة الأول في جهة ، والعاملان الرابع والخامس ومعهما خمسة فلاحين ، وهما

يتجادلان بصورة فوضوية ، واذا كانت القوة والشراسة لدى الحزب الأول فقد كان الحـــزب الثاني متحفظاً وغير واثق من نفسه) .

السيـــدة : (خـــلال ذلك تردد) نحن لسنا قضاة ، الرب هو القاضي .

الشيـــخ : (يغط في النوم والمسبحة مدلاة من بين يديه على كرشه) ...

الوجيـــه : (متابعاً) أليس هـــذا هو الشر بعينه ؟ أنتما جلبتمـــا هـــذا الشـــر . أفسدتمـــا كـــل شيء بفسادكما .

الطريـــد : لا تستمعي اليه ياحبيبتي . يريد أن يفصلك عني ليكسبك هو .

الوجيـــه : أكسبها لماذا ؟ انها لا تصلح لشيء .

الطريـــد : كنت تعتقد هذا قبل أن تلتقي بي وألتقي بها. وكنت تريدهـــا أن تظـــل المريضة المسكينة ، لتستغلها استغلالا دنيئاً .

الوجيـــه : اسمعيني يا فتاتي .. انه يريد لك التهلكة .

الفتـــاة : أنت مخطىء ياســـيد ، فانني لـــم أحس بأنني أسترد عافيتي الا بعد أن عرفته .

الوجيـــه : انه يخدعك ويضللك ، هذه هي الحقيقة .

الفتـــاة : كان الرجل الوحيـد ، الذي فهمت كلماتـه وصدقتهـا .

الوجيـــه : اذن ، على رسلك . اذهبا الى الجحيم ، هيا ، لا تتوقفا في العربة لحظة واحدة. (الاضاءة الآن خليط مـن الصفراء والحمـراء والبيضاء) (بينما ينتظر تنفيذ أمره ، يحصل الانفجار في الخلف .. العامل الأول والعامـل الخامس يشتبكان في قتال عنيف ، يتبعهما أنصارهما).

العامل الأول : أيهـا الوغـد ، أنت ملعون مثلهمـا ، فاليك جزاءك (يهوي عليه بالعصا) .

العامل الخامس : (متجنبـاً الضربـة بعصاه) خسئت يا كلب السـادة !

انصار الطرفين (يتهاجمان) : هيا يا شباب ، هيا يارجال،لتكن ضربة ساحقة . لنسحق العملاء .

(الفتـاة تلتصق بالطريـد خائفة فيضمهـا اليه بقوة) .

الفتـــاة : (راجفة الصوت) لنهرب أرجوك .

الطريـد : لا تخافي ، لا تخافي ياحبيبتي .

الفتـــاة : (وجهها يرتاح) ...

السيدة العجوز : أيها البهائـم ، أتقتتلون من أجلهما ؟ انظروا اليهما .. انظروا الى الفاسقين ..

الوجيــه : انه تحد صارخ ، ليس للذوق العام فحسب .. بل لعاداتنا وتقاليدنا وآدابنا ، بــل لكرامتنا نفسهــا .

(حالما يُهاجَم الطريد والفتاة ، تغمر المسرح اضاءة أرجوانية) .

العامل الأول : الله أكبر ! (يهاجم الطريد والفتاة)

الفلاح الأول : يا أعداء السماء ! (يهاجم)

(بعض أنصارهما يهاجم الطريد والفتاة أيضا، في حين أن الطريد يغطي الفتاة بجسمه ويتلقى الضرب وحــده ، بقية أنصار السادة يقاتلون أنصــار الطريــد) الوجيه يذهب الى جــانب الشيخ ، يصعدان على مقعدهما يرقبان المشهد كقائدين عسكريين) .

(تعتيم تدريجي مع موسيقا تراجيدية تغطي على صخب المسرح) .

(لمدة دقيقة بكاملهــا)

المشهد الرابع

(يضاء المسرح ابتداء من الطريد والفتاة فنراهما شبه مختلطين بجسديهما المتكورين ، ملطخين بالدماء . ثم تمتد الاضاءة الى مقعدي الدرجة الاولى لنرى السادة جالسين يحدقون الى عدويهما بتشف وارتياح ، وبعد ذلك يضاء حيز الدرجة الثانية) ..

الفلاحة الأولى : (تضع كفها على فمها متأوهة) آه ، يا الهي !

الفلاح الأول : اهدئي ياامرأة .. انهما يستحقان الذبح .

الفلاحــة : (تهب اليهمــا) اللهم اصلح عبادك ، اللهـم ياحيّ ياقيوم ! (تركع بجانبهما وهي لا تجرؤ على لمسهما) آه ، انهما يتنفسان . (الآبقان يتململان) نعم ، انهما حيان .

(العاملان الرابع والخامس يهبــان اليهمــا)

العامل الرابع : أحق ما تقولين يا امرأة ؟

الفلاحــة : نعم ، تعال انظر .

العامل الخامس : ماء ، هل يوجد في مطرتك ماء ؟

الرابــع : نعم ، سآتي بها (يذهب ليحضرها)

(العامل الخامس يساعد الطريد على الجلوس،
والمرأة تساعد الفتاة)

الخامس : هيا أيها الأخ ، حاول الجلوس ·

الفلاحة : وأنت أيضا يا فتاتي المسكينة ·

الرابع : خذ ، اشرب ·

الطريد : (يشرب جرعة واحدة ويشكره بعينيه)

الفلاحة : عليّ بالمطرة · خذي يا أختي ·· اشربي ·

الفلاح الاول : الويل لك ، تؤاخين عاهرة ·

الفلاحة : انها مسكينة ·

الوجيه : (ينظر اليهم مستنكرا) هي،أنتم،هل جننتم ؟

(ثم يلتفت الى الشيخ ، الذي ينهض ويتحرك
نحوهم) ·

الوجيه : هيا الى أماكنكم ، مرحلة الفوضى والزندقة
انتهت ويجب ألا تتكرر !

(ينهضون منصرفين الى أماكنهم في حين يقف
الشيخ معاينا الآبقين) ·

الشيخ : كان يجب ألا يحصل هذا ، لكنكما أردتماه ،

آمل أن يكون لكما درسا طيبا ، على كل حال ، عسى أن تنجـوا من غضب الله ، (يرجـع الى مكانه يجلس وهو يلملم أطراف جبته خوف أن تتسخ من الارض ، ويصلي بخشوع) .

الوجيــه : اه ! هكــذا ابــن آدم ! لا يأتــي الا بالرص ! (انبرى لساني وأنا أنصحهما وأرشدهمــا ، وأحذرهما من العاقبة السيئة . دون فائــدة .

الشيــخ : بارك الله طيب قلبك أيها السيد النبيل . أنت تعرف أن الكفــرة والضالــين فئتان .. فئــة يهديها الله فسرعان ما تتوب وترجع الى طريق الهداية والخــير ، وفئة ختم الله علــى قلوب أصحابها وأبصارهــم فما ينفع فيهم نصــح ما داموا لا يفقهون .

السيدة العجوز : يا لطف الله أدركنا .

الشيــخ : (متابعا) ولو شاء ربك لهداهــم ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء . انها حكمته جل جلاله.

لا اله الا الله وحده لا شريك له .

الوجيــه : (بلهجة خطيرة) أتظن ياسيدنا الشيخ أن هذين ممن ضرب الله على قلوبهم وأبصارهم ؟

الشيــخ : لا أدري بعد . سننتظر نتيجة مــا أصابهما من البــلاء .

الوجيـــه : نعم، نبقيهما تحت رقابتنا حتى المحطة التالية.

(السكون والغفلة في العربة ، الا أنهمـا ليسا كما همـا في المشهد الأول . فأنصار الطريـد يظلون مختلفين عن الآخرين ، يجلسون جلسة المفكر في الأمور)

(الفتاة تتململ وتعتدل جالسة تماما ، تحدق الى الآخـرين) .

الفتـــاة : آه ، أكنت في حلم ؟

الطريـد : (يتحرك ويجلس أيضا كمن يفيق من حلـم)

الفتـــاة : هذا أنت ؟ ولكن .. ما هذا ؟

الطريـد : دعك مني وطمئنيني عنك .. هل أصبت بأذى جسيم ؟

الفتـــاة : لا .. بفضلك .. لقد حميتني بجسمك (تنهال الدموع من عينيها) ...

الطريـد : تبكين ؟

الفتـــاة : أنـا ؟

الطريـد : نعـم ، أنت تبكين .. هـذه دموعك تنثال من عينيك بغـزارة ، هاهمـا عيناك .. عينـاك المتفحمتان تشتعلان كمصباحين .

الفتـــاة : (دَهِشة وفرحة) حقا ، انني ٠٠ آه يارفيقي الحبيب .. هـذه أول مـرة .. منذ سنوات لا أذكر عددهـا .

الطريـد : يا فتاتي العزيزة ! تدرين ؟ أحس بدموعـك تنهـال على قلبي .. تغسله من قذارة ملأتـه طوال عمري ... نعـم ، ان قلبي يصفو الآن ويتألق ، يشع ، كعينيك .

الفتـــاة : ولكنني سببت لك الأذى .

الطريـد : بل منحتِني سعادة عظيمة .

الفتـــاة : أنـا ؟

الطريـد : منحتني القدرة علـى تحمـل أعظـم الأذى . أتصدقين ؟ خوفا من هذا الأذى ، كنت أهـرب من مكان الى مكان ، لا أنام مـلء جفوني ليلة واحدة خوف أن أفاجأ .

الفتـــاة : (متذكرة) لم تقل لي من الذي يطاردك .

الطريـد : قلت لك انه .. العدالة .

الفتـــاة : آ ـ نعم ولكن .. ما هي العدالة ؟

الطريـد : (ينظر اليهـا والى الجمهـور محتارا) مـاذا أقول لك ؟

الفتـــاة : أهي امرأة ، أم نوع من الوحوش المفترسة ؟

الطريـد : (كانه يخاطب نفسه) هذه هي المشكلة . ليس لها معنى معروف في الواقع .

الفتـاة : كيف ؟

الطريـد : (متابعاً باللهجة نفسها) كل امرىء يعطيهـا معنى يوافقه هو .

الفتـاة : لم أفهم .

الطريـد : (مستديرأ اليهـا) اسمعي . أنت لـن تفهمي شيئا ليس محـدداً . ولكـن سأحاول أن أقول شيئا ، وأنت حاولـي استنتاج معنى العدالة .

الفتـاة : حسنا ؟

الطريـد : كنت معلماً .

الفتـاة : أظنك أخبرتني من قبل .

الطريـد : نعم . كنت أعلم الصغار أفكارا .

الفتـاة : هذا بديع .

الطريـد : لكن الناس قالوا ان وظيفتي هـي أن أعلمهم قصصا خرافية .

الفتـاة : خرافية ؟

الطريـد : يعني خيالية ، تعتمد على تمجيد قيم قديمـة بالية وبطولاتوهمية خارقة للطبيعةالبشرية.

الفتـــاة : انني لا أحب هذه القصص .

الطريـد : قلت لهم انمثل هذه القصص لا تساعد الصغار على أن يصبحوا كبارا . بل انهـا لا تساعدهم حتى على العيش .

الفتـــاة : (تنظر اليه باعجاب متزايد) ...

الطريـد : هذه هي العدالة في نظري . لكن الآخرين قالوا بان هذا مناقض للعدالة ! أفهمت الآن ؟

الفتـــاة : (تبتسم) ياه ! ان ذلك كله يبدو أحجية

الطريـد : نعم ، بهذه الطريقة ، فعلا يبدو أحجية .

الفتـــاة : (مثل طفلة تصفق بيديهـا فرحة بموافقته ، ثم تضحك بصدق) ...

الطريـد : (يضحك مشاركا) ...

الفتـــاة : ان العالم كله يبدو لي أحجية .

الطريـد : نعم ، انه أحجية .

(يضحكان أيضا ، الآخرون استفاقوا ينظرون اليهما شذراً)

الوجيـــه : الظاهر أنهما اتحدا بالشيطان اتحـادا أقوى ، بعد الذي حدث لهما .

السيدة العجوز : هذا ما أراه بالفعل .

السيـد : الموت اذن أحرى بهما .

الوجيـه : ما رايك يا سيدنا .

الشيـخ : سلمهما لشرطة المحطة التالية ، هاهي ذي آتية.

(صفارة القطار تزعـق .. مؤثرات القطـار واضحة الآن ، وهي تأخذ بالتباطؤ) .

(يهب الطريد واقفا وينظر من النافذة الوهمية الى الخارج ، الركاب جميعا يرفعون رؤوسهم ينظرون من النوافذ بحركة مذعـورة . الفتاة تلحق بالطريد ملتصقة به) .

الفتـاة : ما الخبر ؟

الطريـد : محطـة .

الفتـاة : محطـة ؟

الطريـد : (كأنـه يخاطب نفسه) سينزل الآن مسافرون ويصعد آخرون .

الفتـاة : ألا نقفز هاربـين ، قبل أن يسلمونا لشرطـة المحطـة .

الطريـد : لم تعد ضرورة للهرب .

الفتـاة : ولكننا سنهلك .

الطريـد : لن نهلك بعد أن أصبحنا معا . (يستدير نحو

الدرجة الثانية) انظري هناك . كسبنا منهم قلة .. ستغدو كثرة . وهذا حتمي ياعزيزتي. مثل الموت نفسه .

الوجيه : وصلنا المحطة .

السيدة العجوز : (بذعر وهي ترتجف) هل وصلنا حقا ؟

الشيخ : سعيد من وصل .

السيدة العجوز : آه ، يا الهي ! لا أريد .. لا أريد الوصول أبدا.

الفلاح الأول : يا لها من رحلة شاقة في هذا البرد .

اذكروا ربكم واسألوه سلامة الوصول .

العامل الخامس : فعلا يا أختي ، اننا نحتاج لذلك .

العامل الأول : اللهم لا حول ولا قوة الا بالله. سامحونا ياإخوان.

العامل الرابع : نحن اخوة ، بداية ونهاية . اطلب السماح من هذين التعسين أيضا .

العامل الأول : اللهم مغفرتك ان كنت أخطأت نحوهما . (مؤثرات توقف القطار تماما ، تحل محلها موسيقا قلق)

(يجمد الجميع ينتظرون بذعر وقلق)

(يدخل شرطيان ، يرتديان ملابس غريبة بيضاء بدوية الطراز ، حركتهما آلية مسلوبة

الارادة يعوقفـان في الباب .. عيون الركـاب
جاحظة نحوهما) .

الشيـخ : (يطاطىء رأسه منهمكا بالتسبيح،متهربا) ..

السيدة العجوز : سلام قولا من رب رحيم .

الوجيـه : (وحـده يبقى الصامد) ألا نسلم العبديـن
الآبقين ياسيدنا ؟

الشيـخ : (دون أن يرفـع رأسه) تصـرف ياسـيدي ،
تصرف بسرعة .

(الشرطيان يتقدمان بآلية الىمنتصف العربة)

الشرطي الأول : أيها السادة .. وقفة القطـار موقوتة .. فعلى
من انتهت رحلته أن يهبط دون تأخـير ، والا
اضطررنا لاجراءات تعرفونها .

الشرطي الثاني : أسرعوا أيها السادة ، فثمة مسافرون جـدد ،
يجب أن يجدوا أماكن شاغرة لهم .

(موسيقا جنائزية)

الوجيـه : أيهـا الشرطيان .. ليس في العربة من انتهت
رحلته ، غير هذين الفوضويين .

(الشرطيان ينظران الى الطريد والفتاة)

الشرطي الأول : هل انتهت رحلتك أيها السيد .

الطريـد : (مبتسما يهز رأسه نفياً) ...

الشرطي الثاني : وآنت أيتها الآنسة ؟

الفتــاة : انني مسافرة حتى النهاية .

الشرطي الثاني : أرجو لكما حظا سعيداً .

الشرطي الأول : (ينشر ورقة ، ينظر فيها ، ثم ينظر الى من في العربة فردا فردا) أنت ، أيتها السيدة العجوز هـذه محطتك ، هيـا اهبطي . (بعد متابعة المعاينة للعامل الأول) وأنت أيها السيد .

(الموسيقا الجنائزية تتصاعد للذروة)
(تنهض العجوز وهي تكاد تكون غائبة عن الوعي متجهة الى الباب يتبعها العامل الأول ، يهبطان)

الوجيـه : أيها الشرطيان .. هـذان الآبقان لابـد مـن انزالهما .. انهما يسببان المشاكل.. انظرا .. جميع من في العربة لا يريدونهما بينهم .

(يبتسمان) آسفين يا سـيد .. ليس في يدنـا مستند ضدهما .

الوجيـه : ولكن ، أيها ...

الشرطي الأول : (مقاطعاً) اننا نؤدي واجبا وثيقا أيها السيد.

واننا نعمل وفق ناموس للعدالة كامـل الدقة أيضـا .

(يستديران ، وينصرفـان هابطين •• يصعد بدلا منهما في الحال فتى رقيق بهـي الطلعة ، يحمل بيده شبّابة ، يرتدي جلبابا بسيطا يدل على فقره المادي، يدخل بمرح و يهتف بتفاؤل:)

الفتـــاة : أسعدتم عمرا أيها السادة . هلا قبلتم رفيقـا جديدا في رحلتكم الميمونة .
(لا أحـد يجيب ، نظرات ازدراء من السادة ، ونظرات دهشة من الآخرين)

الفنـــان : لا باس ، يبدو أنني حضرت في ساعة حرجة .. لا باس (يتجـه تلقائيـا الى الدرجـة الثانية ويجلس مكان العامل الأول)

الفتـــاة : انه فتى لطيف .

الطريـد : نعم ويختلف عنهم اختلاف وعـاء الملح عمـا يوضع على المائدة من أوعية الطعام .

السيـدة : اذن ، مضت رفيقتنا العجوز .

الشيـــخ : هذه حال الدنيا . استقبال ووداع .

السيـد : على كل حال ، ارتحنا منها ، كانت طوال الوقت تسعل ويسيل بصاقها • شيء مقزز •

الشيـــخ : كلكم لآدم ، وآدم من تراب .

الوجيـــه : صدقت يا سيدنا .

الشيـــخ : وسعيد من رجع اليه خفيفا مخففا ، طاهـرا وعفـاً .

الوجيـــه : انما المؤسف ياسيدنا ، هـو ذهاب الصالحين ، وبقاء الطالحين (مشيراً الى الطريد والفتاة).

الشيـــخ : كل شيء بأمره ، جلت حكمته .

(مؤثرات القطار : يصفر ، ثم يتحرك متابعا سـيره) .

الفتـــاة : (فرحة) لم يجبرونا على الهبوط .

الطريـد : نعم ياعزيزتي .

الفتـــاة : كم كنت خائفة !

الطريـد : يجب ألا نخاف بعد اليوم .

الفتـــاة : لن أخاف ، سأظل معك ، ولن أخاف . (تلتصق به ، يمسح بيده شعرها) ...

الفنـــان : ما بالكم لا تتكلمون ولا تتحركون ؟

(لا يجد رداً)

الفنـــان : (دهِشاً ، ينهض بعد قليل ، وقد لفت نظره الآبقـان ، يقترب منهمـا) أتسمحـان لـي بالتحدث معكما ؟

الطريـد : مرحبا بك .

الفنـــان : ما بال أهل هذه العربة كالأموات ؟

الطريـد : كما ترى .

الفنـــان : انتما وحدكما من أراه حيا هنا . ولكن .. مــا هــذا ؟ أثر دماء ؟

الطريـد : (يهز رأسه مبتسما) ...

الفنـــان : هل أصبتما بحادث ؟

الطريـد : حادث عادي .

الفنـــان : شيء مؤسف لعروسين ، هه ؟

(الطريد والفتاة يتبادلان النظر والابتسام)

الفنـــان : ألستما عروسين ؟

الطريـد : يمكنك القول اننا عروسان (مستدركا) ولكن دون فراش .

الفنـــان : آه ، فهمت .. جمعكما الحب اذن .

الطريـد : أنت فتى ذكي .

الفنـــان : هل يحزنكما أن تكونا عروسين دون فراش ؟

الطريـد : ما رأيك أنت ؟

الفنـــان : (بصخب) أوهو .. ولماذا الفراش ياصاحبي .. حين يوجـد الحب لا يعود الفراش ذا أهمية .

(يضحكون بمرح وألفة)

الشيـــخ : (غاضبا) أشيطان ثالث حل بيننا .

الوجيـــه : اسمع يافتى . سوف ينالك مـــن الأذى مثلمـــا نالهما .. ان تفلسفت بعد هذا .

الفنـــان : (مقتربا مـــن الوجيه ببراءة) الأذى ؟ مـــاذا فعلت ؟

الوجيـــه : يجب أن تبقى هادئـــاً كالآخرين . اننا نريـــد السلام .

الفنـــان : وأنا أيضا . ولكني لا أريد الموت .

الشيـــخ : على رسلك ، ولكن لا تنطق بالكفر ياعبدالله.

السيـدة : أنت تدعو الى معصية .

الفنـــان : (يتخلص من دهشته بضحكة نقية) ...

الجميـــع : (يحملقون فيه وقد ارتفعت رؤوسهم مشرئبة تمامـــا) ...

الوجيـــه : (بحدة) ما الذي يضحكك يا هذا ؟

الفنـــان : (يسكت دَهِشاً ، وينظر حوله ، ثم للوجيه) ألستم .. ألستم تهزلـــون اذن ؟ (بعد دهشة الآخرين) ظننتكم تمزحون ، لا تؤاخذوني .

الوجيـــه : حسنا ، انني أحذرك .

الفنـــان : مم تحذرني ياسيدي ؟

الوجيـــه : لا تكن مفسداً ، والزم السكون التام .

الفنـــان : مستحيل أن ألزم السكون التام . انني أريـد الحياة ياسيد .

الوجيـــه : المهم ألا تكون مفسدا . هذا أهم .

الفنـــان : لستُ بمفسد ولا أحب الفســاد ياسـيدي . انني .. أحب هذه (شبابته).. أتعرف ماهي ؟ انها بالنسبة لي كـل ماهــو جميل وعــذب في الحياة ... (يلتفت بصورة تمكنه من مخاطبة الجميع ، وبحنان) الحب .. السلام .. الليالي المقمرة .. الأيام المشرقة .. الربيع الزاهر . أتريدون أن أنطقهــا لتثقوا (يضعهــا على فمه لينفخ فيها) ...

الوجيـــه : (مقاطعاً) كفى ، لا نريد مزيدا من لغوك .. هيا اذهب الى مكانك واهدأ .

الفنـــان : (مصدومــا .. ثم يعيد النظر فيمن حولــه ، وبعدئذ يقترب من المارقين) ....

الطريـد : لا تبتئس يافتى ، انهم يحبون الغدر .

الفنـــان : ولكن .. هذا فظيع .. الحياة هكذا لا تطاق .

الطريـد : (يبتسم) لا تســرع الى التشاؤم .. الحيــاة رائعة ما دام فيها فتى مثلك .

الفتـــاة : نعم .. أنت فتى رائـــع . وكنت تتحدث بكلام رائـــع .

الفنـــان : (ناظرا للدرجة الثانية)وهـؤلاء ، لا يبدون منهـــم .

الطريـد : نعم .. ولكنهم يخافون سلطانهم .

الفنـــان : أقويّ سلطانهم بحيث يخيفون جماعة أكثـــر منهم عددا ؟

الطريـد : نعم .. ولكنه سلطان الوهم والخرافة .

الفنـــان : هـــا ، فهمت .

الطريـد : من أنت في الحقيقة ؟

الفنـــان : (يرفع الشبابة) هذا أنا ، وهذه هي هويتي . أتريدان أن تعرفاني ؟

الطريـد : اذا لم تكن خائفا .

الفنـــان : لا أخاف ما دام قلبي يحب الحياة . اسمعاني ، سأعزف لكما .

الفتـــاة : نعم ، أرجوك ، أشتهي سماع شبابتك .

الفنـــان : حسنا . (ينفخ في الشبابة)

الوجيـــه : (مقاطعا) قلت لك دعنا من هذا السخف .
(يسكت الفنان)

الوجيـــه : يا الهـي ! أصبحنا في مركب مثقوبة أرضه . ما العمل ؟

الشيـــخ : مـــن جهتي .. لا أملك الا أن أصلي لله تعالى ، كي ينقذنا ، ويحفظ لنا مركبنا سالما .

الوجيـــه : (يعترض) ولكن ياسيدنا ...

الشيـــخ : (يرفع يديه مقاطعاً) انه الضلال المبين أيهـا السيد النبيل .

الوجيـــه : أتعني .. لا أمل .. لابد من القيامة ؟

الشيـــخ : (منكفئاً الى مسبحته كأنــه ينسحب يريـــد السلامة لنفسه) لا حــول ولا قــوة الا بالله .
(يصلي مهمهماً طـول الوقت المتبقي لنهايــة المسرحية) ...

الوجيـــه : حسنا .. سأقوم بما يلزم .. سألجأ نحـوه الى العنف . واذا اقتضى الأمر قذفت به من نافذة العربــة .

الفنـــان : (للمارقين) تعالا معي .. ستريان الآن العجب (يتجه الى الدرجة الثانية) (المارقان يتبعانه بحـذر)

الفنـــان : ما رأيكم أيها الاخوة ؟ سأعزف لكـم .. ان في هذه القصبة الدفء الذي يقهر البرد .

(العاملان الرابع والخامس يستقبلانه بترحاب موسعين له مكانا بينهما ، على الأرض) .

العامل الرابع : فكرة حسنة .

العامل الخامس : تعال أيها الأخ ، نحن نرغب في سماعك .

(المارقان يقفان جانباً)

الفنـــان : ألا أزعج بقية الأخوة .

الفلاح الثاني : ولماذا ، من يكره الموسيقا والطرب ؟

الفنـــان : (ينظر ، لا يجـد اعتراضا ، يبدأ بالنفخ .. أولا تقاسيم .. يتسارع ايقاعها تدريجيا ... تتجه وجـوه أصحاب الدرجـة الثانية اليه ، وتدريجاً تبـدأ الحيـاة تضيء وجوههـم ... تتسارع النغمات حتى تصبح ملتهبة بايقـاع محموم (راقص) .. أصحاب الدرجـة الثانية يتمايلون بأجسامهـم طربـين ، وقـد شرعت الاغطية تهبط عن أجسادهم يتخلل ذلك كلـه صيحات نشوةحيّة تند عن فم هذا وذاك تعبيراً عن السرور والاعجاب والطرب ...)

(فجأة يقفز فلاح ويبدأ بالرقص مرحاً ، وهو يصرخ .. بعده الفلاحة.. بعدهما فلاح آخر.. تنضم اليهم الفتاة تلقائيا .. البقية ينهضون

واقفين ويصفقون بسعادة ... العاملان الرابع والخامس يأتيان الى الطريد يربتان على كتفه ويقفان الى جانبيه) .

العامل الثاني : (مقتربا من الطريد) نحن أحياء الآن ، هه ؟

الطريـد : انني سعيد بمعرفتكم .

العامل الثاني : سنكون صحبة طيبة .

الطريـد : (يشد على يده)

(العاملان الرابع والخامس يربتان على ظهر العامل الثاني)

(الفلاحة تتقدم فجأة وتجر الطريد الى الرقص معها ، تصفيق عام من أصحاب الدرجة الثانية وضحك يدل على الرضا ، على الحياة والسعادة)

العامل الرابع : أترى ، أصبحنا كثيرين الآن .

العامل الخامس : نعم ، يجب أن نقهر الخوف ، قبل أن نفكر بقهر الموت .

العامل الثاني : يسقط البرد .

الرابع والخامس : البرد والخوف .

الثانـي : البرد والخوف .

الوجيــه : (مقتربا) كفى ، كفى يانور !
(تسكت الضجـة فجـأة ، وتسكت الشبابـة ، يتوقفون محدقين الى الوجه باستغراب)

الوجيــه : هل جننتم جميعا ؟

العامل الثاني : نريد أن نمرح ياسيد .

الوجيــه : لقد تحولتم الى جماعة من الفجر .

ولم لا ياسيد ؟

ما شأنك أنت بنا ، هه ؟

الوجيــه : تريدون المرح ، اذهبوا الى عربة أخرى .

الخامس : أأنت وحدك مالك هذه العربة .

خسىء أن يكون مالكها وحده .

الوجيــه : لقد أفسدكم هؤلاء الثلاثة .. الشياطين .

الفلاح الأول : الشياطين يؤذون الناس ، ولكـن هؤلاء أدخلو الحياة الى عربتنا .

الوجيــه : الفساد .

الفلاحـة : دعونا نمرح ، لا تسألوا عنه يحيا المرح !

يسقط البرد .

العامل الثاني : نريد الحياة .

العمل الخامس : يسقط الخوف .

الجميـــع : الخوف والموت .

الفنـــان : (يبدأ بالعزف فوراً)

(أصحاب الدرجـة الثانية يعودون للتصفيق والرقص) .

(الوجيه يتراجع مقهوراً الى الدرجة الثانية ـ الشيخ لايزال على انكفاءته ـ السيد والسيدة قد تجمّعا على نفسيهما من ذعـر أو بـرد ، كقنفذين .. يجلس الوجيه يائساً ، مقهوراً)

(يدوم ذلك نحو دقيقة أو دقيقتين .. ثم تبدأ الستارة بالنزول مصحوبة بصفرات القطـار ومؤثرات سيره) .

(ختـــام)

١٥٠٠/١٠/١٩٧٤

طبع في مطبعة دار الانوار ـ دمشق ـ المنطقة الصناعية